دَينَ الأحياء

أُلقيت في حفلة مسرح رمسيس بالقاهرة لذكرى العام
الأول على وفاة المرحوم أحمد شوقي بك

دَينٌ... وهـذا اليـومُ يـومُ وفـاءِ
كـم منَّـةٍ لـلميْـتِ فـي الاحيـاءِ!
إن لَم يكن يُجـزَى الجـزاءَ جميعَـه
فلعـلَّ في التـذكـار بعضَ جـزاءِ
يـا سـاكنَ الصحـراء منفـرداً بهـا
مستـوحشـاً في غـربـةٍ وتنـائي
هـل كنتَ قبـلاً تستشفّ سكـونَهـا
وتـرى مقـامَـك في العـراء النـائي
فـأتيتَـ والـدنيـا سـرابٌ كلهـاـ
تـروي حـديثَ الحبِّ في الصحـراءِ
ووصفتَ قيساً في شـديـدِ بـلائـه
ظـمـآن يـطلب قـطرةً مـن مـاءِ
ظمـآن حين الماء ليلى وحـدُهـا
عـزَّت عليـه ولَم تُتـح لـظمـاءِ!
هيمـان يضرب في الهـواجر حـالمـاً
بـظلال تـلك الـجنـة الـفـيـحـاءِ
فـاذا غـفـا فلطيـفهـا، وإذا هـفـا
فلوجهـهـا المستعـذبِ الـوضّـاءِ
يـا لـلقلوب لـقصـةٍ بـقيـت عـلى
قِـدم الـدهـور جـديـدةَ الأنبـاءِ
هي قصةُ الطيف الحزين، وصورةُ الـ
ـقلب الـطعيـن، مجللاً بـدمـاءِ
هي قصـةُ الـدنيـا، وكم مـن آدم
مـنـا لـه دمـعٌ عـلى حـوّاءِ

كـــل بـــه قـيسٌ إذا جـنَّ الـــدجى
نـــزع الإبـــاءَ وبـــاح بـــالـــبـــرحـــاءِ
فـاذا تـداركـــه النهـارُ طـــوى المـدا
مـــعَ في الفؤاد وظُنَّ في السعـــداء
لا تـعلم الـــدنيـــا بمـــا فـي قلبـــه
مـــن لـــوعـــةٍ ومـــرارةٍ وشـــقـــاء
كـــلٌّ لـــه «لـيلى» ومـن لَم يَـلقَهـــا
فـحـيـــاتـــه عـبـثٌ ومـــحضُ هـبـــاءِ
كـــلٌّ لـــه «ليلى» يـــرى في حبـهـــا
ســـرّ الـــدُّنـىٰ وحـقـيـقـــةَ الأشـيـــاءِ
ويـرى الأمـاني في سعيـر غـرامهـــا
ويـــرى الـسعـــادةَ فـي أتـمِّ شـقـــاءِ
الكـــونُ في احسـانهـــا والعمـــرُ عنـ
ـد حنـــانهـــا، والـخلدُ يـــومُ لـقـــاءِ
يـــا لـلقـلوب لـقـصـــةٍ مـحـزونـــةٍ
لـــم تُـــروَ إلَّا روِّحَـــتْ بـــبـكـــاءِ
خلُدت على الـــدنيـا وزادت روعـــةً
مـمّـــا كسـاهـــا سـيـــدُ الـشـعـــراءِ
خلدتْ على الـــدنيـا وزادت روعـــةً
مـن جـــودة الـتـمـثـيـــل والإلـقـــاءِ
من فنّ (زينبهـــا) ومن (عـــلّامـهـــا)
زيـن الـشـبـــاب وقـــدوةِ الـنـبـغـــاء